المقتطف

الجزء الخامس من المجلد الثامن والاربعين

١ مايو (ايار) سنة ١٩١٦ — الموافق ٢٨ جماد الثاني سنة ١٣٣٤

دعائم الصناعة

كثر الاهتمام في غضون الشهرين الماضيين بالصناعة المصرية والمعامل الصناعية . وهو اهتمام حميد يُشكر القائمون به جزيل الشكر وعسى ان لا يفشلوا اذا رأوا ان استعداد البلاد الصناعي قليل جدًّا من كل وجه كما سيجيء

والاهتمام بالصناعة متية كل الامم الراقية في هذه الايام حتى يصح ان يقال ان عصرنا هذا عصر الصناعة ولعلَّ اهم اسباب الحرب الناشبة الآن التزاحم الصناعي بين ممالك اوربا . وسيكون التفوُّق في الصناعة الحكم الفصل فيها . بل ان البلدان التي لم تشترك في هذه الحرب فعلاً جعلت تستعدُّ للكسب منها بصناعتها بعد ما تضع اوزارها فوق ما كسبتهُ منها حتى الآن

اطلعنا قُبَيْلَ كتابة هذه السطور على مقالة في مجلة السينتفك اميركان من قلم المستر لين وزير الداخلية في الحكومة الاميركية موضوعها استعداد اميركا في مواردها الصناعية الطبيعيَّة صدَّرتها السينتفك اميركان بكتاب جاءها من الدكتور ولسن رئيس الولايات المتحدة وهذا تعريبهُ

« الى محرر السينتفك اميركان بنيو يورك

« سيدي

« ان في تنبيه بلادنا الى الفوائد الجلَّى المفتوحة ابوابها لديها في اسواق العالم خدمةً كبيرة لها . فان هذه الابواب واسعة جدًّا وفي طاقتنا ان ندخل منها الى حقول كثيرة الموارد وافرة الخيرات ولكن لا يتهيأ لنا ذلك ما لم نكن على كفاءة تامَّة في الاعمال الصناعية البالغة ارقى ما نتوخاهُ . فينبغي علينا ان نستعين بكل ما يخدم بهِ العلمُ الصناعةَ وان نستخدم

كل ما يُنتظَر من التعليم في تربية الصنّاع على ممارسة اعمالهم ومزاولتها . ويجب ان يتّصف صنّاعنا بالإقدام والاعتماد على النفس عالمين ان صناعتهم مبنيّة على القواعد العلمية المقرّرة ومؤيّدة بقوّة الامّة . فاذا امتحن صنّاعنا المتعلمون بعلمائنا الباحثين ووازرهم اصحاب الاموال بالمحافظة من غير تضييق ولم يفتروا بانفسهم بل كان منهم لم ناقد فتشوا عن مواقع الخلل في مصنوعاتهم واصلحوها — فقلّ ان يوجد مكان على وجه البسيطة لا تروج فيه المصنوعات الاميركية وتحل منهُ المحل الارفع

من القصر الابيض في ١١ فبراير سنة ١٩١٦ «درو ولسن»

وواضح من ذلك ان لنجاح الصناعة دعامتين كبيرتين العلم والمال وقد اضاف اليهما الوزير لين دعامةً ثالثة وهي وجود لوازم الصناعة من المواد الاصلية والقوة المحركة . ويضاف الى ذلك دعامة رابعة اشار اليها الرئيس ولسن من طرف خفي وهي قوّة الامّة القوة التي تحمي متاجرها حتى تدخل اسواق المسكونة من غير خوف ولا وجل . وهاك خلاصة ما قالهُ الوزير

اهتممتُ منذ بضعة اشهر بالبحث عمّا عندنا مما نستطيع ان نقابل به العالم الذي علّمنا الآن ان الحرب لا تنحصر في الجيوش بل تتناول التنازع بين كل ما للامم المتحاربة من قوى الحياة اي بين مراكزها المالية ونظاماتها الصناعية وغلات اراضيها ومعادن مناجمها وذكاء عقولها . ولا تقتصر الجيوش الآن على ما فيها من الجنود والخيول والاسلحة بل تتناول الكيماويين والمخترعين والالغام والطيارات والاوتومبيلات والاسلاك الشائكة وسكك الحديد وكل الآلات والادوات التي لدى الامم الصناعية

اما الولايات المتحدة ففيها كل ما تحتاج اليهِ ما عدا مادة او اثنتين فانهُ يستخرج منها سنويًّا ٦٦ في المئة من كل البترول الذي يستخرج من المسكونة و ٦٠ في المئة من كل النحاس و ٤٠ في المئة من كل الفحم الحجري و ٢٢ في المئة من كل الرصاص والزئبق . ويستخرج منها ايضًا القصدير والبلاتين والمنغنيس والنكل . ولكن المستخرج من هذه المعادن الاخيرة قليل لا يفي بحاجة البلاد . ونستطيع ان نبني البوارج ونصنع الاوتومبيلات وننشئ المعامل وسكك الحديد وتكون معادن ذلك كلهِ من مناجمنا وخشبها من حراجنا ولا نحتاج الاّ الى الكاوتشوك . وعندنا لتسميد الارض كثير من املاح الفصفور واملاح البوتاسا ويسهل علينا استخلاص النتروجين من الهواء بنفقة قليلة جدًّا لكثرة القوة المائية عندنا . فلا تفتقر اراضينا الى السماد . وعندنا كل انواع الاراضي والاقاليم من الحار الى البارد فتصلح بلادنا

لزرع كل الحبوب والاثمار على انواعها - وعندنا فوق ذلك كله من القوة المائية المتصلة ما يقدر بنحو ستين مليون حصان

ولدينا غير هذه الموارد الطبيعية موارد عقلية من اذكى ما يكون كما تشهد مكتشفاتنا ومخترعاتنا الكثيرة . فقد اخترع رجالنا في الخمسين سنة الماضية ثلثي كل المخترعات المهمة التي اخترعها البشر في هذه المدة . ويسجَّل كل يوم في اميركا مئات امتياز باختراعات جديدة . وعدد المخترعات يزيد سنة فسنة

وقد صنعتنا هذه الحرب من جلب مواد كثيرة كنا نجلبها من اوربا فجعلنا نصنعها باتقاننا او نستخرجها من مناجمنا كالبترول والتولول اللذين نصنع منهما اصباغ الانيلين والمواد المتفجرة وكاملاح البار يوم والنجستن والكوبلت والالمنيوم والكدميوم والبلاتين . ولم نكتف باستخراج ما يسدُّ حاجتنا من هذه المواد بل صرنا نستخرج منها ما نتاجر به ونصدره الى البلدان الاخرى

ولا بدَّ لنا من التحكُّم في استخراج ما في جوف ارضنا من البترول لكي لا ينفد سريعاً لانهُ اذا نفد تعذر علينا ان نجد ما يقوم مقامهُ . فاشجار الحراج نزرع بدلاً منها واما البترول الذي تولَّد في قلب الارض في العصور الغابرة فلا نعلم كيف تولَّد ولا سبيل لنا الى توليده

ومن اهم مواردنا الطبيعية التي يجب ان نعنى باستخدامها والاستفادة منها القوة المائية التي في انهارنا اذا اقمنا لها سدوداً حتى ترتفع مياهها وتروي ما حولها من الاراضي العالية ثم تنحدر فيتولد من انحدارها قوة عظيمة لادارة الآلات ولاستخراج النتروجين من الهواء وعمل الاسمدة النتروجينية اللازمة لتخصيب الارض . والارض البور التي لا تروى لا فائدة منها والنهر الجاري الذي لا يروي ارضاً لا فائدة منهُ بل منهُ ضرر كبير في طغيان مائهِ ولكن اذا قيِّدت الانهار بالسدود حتى علا ماؤها واستُعمل للري نفع منهُ ومن الارض فوائد لا تقدَّر . وقد زارنا منذ سنة السر وليم ولككس الذي انشأ خزان اسوان في مصر فلما رأى انهارنا قال انهُ يأسف جداً اذا لم يسعدهُ الحظ فيرى ما لا بدَّ من عمله يوماً ما وهو تقييد نهر المسيسبي بسد يتحكم بمائهِ حتى يروى به كل واديهِ الذي هو اكبر جداً من وادي النيل واصلح منهُ لسكنى البيض . ولا بدَّ للحكومة الاميركية من ان تعمل هذا السد عاجلاً او آجلاً

انتهى ما قالهُ رئيس اعظم بلاد صناعية زراعية روز يلت داخليتها وخلاصتهُ ان الصناعة تقوم الآن بالعلم والمال والقوة وبوجود موادها الاصلية كلها او اكثرها . وقد قلنا «الآن» لان ما يشترط في هذا العصر عصر المباراة والمزاحمة التجارية لم يكن يشترط في العصور الغابرة

حينما كانت كل بلاد مستقلة بصناعتها لا تأتيها المصنوعات الرخيصة من بلاد اخرى فتزاحم مصنوعاتها وتقضي عليها كما حدث فعلاً في هذا القطر والقطر الشامي واكثر الاقطار الشرقية

الاَّ ان الاميركيين استعانوا بوسيلة اخرى لترقية صناعتهم لم يشر اليها رئيسهم ولا وزيره وهي حماية الصناعة الاميركية بضرب المكوس (عوائد الجمرك) الباهظة على المصنوعات الاجنبية . ثم ان هذه المكوس تؤخذ اخيراً من جيوب الذين يستعملون المصنوعات الاجنبية واكثرهم من الفقراء وان الاغنياء اصحاب المعامل هم الذين يستفيدون من غلاء المصنوعات الاجنبية ولكن ذلك لا ينفي ان صناعة البلاد تراقي بهذه الحماية فتغني بحاجة البلاد ويكتسب اصحابها مما يصدر منها الى الخارج

ونحن في هذا القطر تنقصنا القوة المائية والقوة البخارية كما ينقصنا كثير من المواد الاصلية . ويرد على ذلك ان المياه تتحدر في بعض الاماكن في مديرية الفيوم ولا يتعذَّر استعمال القوة الناتجة من انحدارها وان في انحدار المياه من عيون خزان اصوان قوة تقدَّر بالوف الاحصنة . ولكن القوة الناتجة من انحدار المياه في الفيوم قليلة وقد ينتفع بها في محلها وهي لا تشبع من جوع . وقوة المياه المنحدرة من سد اصوان عظيمة ولكن لا يتيسَّر نقلها الى المدن البعيدة كالقاهرة والاسكندرية الاَّ على اسلاك ثخينة جدًّا من النحاس تجعل نفقات النقل اعظم من الفائدة الحاصلة من هذه القوة . وخير ما تستعمل له استخراج النتروجين من الهواء وتركيبه مع الجير لتوليد السماد الكيماوي . وقد اهتمت الحكومة بذلك ويحتمل ان تخرجه من حيز النظر الى حيز العمل يومًا ما

اما القوة البخارية فيحتمل ان يوجد من البترول في جهات قريبة ما يقوم بها اذا لم يوجد لها فحم حجري . ومع ذلك فالصناعات التي موادها الاصلية في البلاد كالحياكة والدباغة وما يترتب عليهما وما يتفرع منهما كافية لان تشغل الالوف من الصناع

وكذلك الصنائع التي يسهل جلب موادها من الخارج فتصل رخيصة يحسن تنشيطها بكل ما في الامكان . ويجب ان تبذل كل الوسائل لاقناع الاهلين باستعمال المصنوعات الوطنية حتى يعتادوا استعمالها وتفضيلها على غيرها . وبغير هذه الوسائل لا يرجى شيوع المصنوعات الوطنية وتفضيلها على المصنوعات الاجنبية

ولكن في البلاد مورد ثروة اغزر مما يمكن ان تناله من الصناعة وهو الزراعة فان دخلها يحتمل ان يزاد خمسين في المئة او اكثر كما سيجيء